

النهضة العربية السعودية

إن النهضة العربية السعودية أظهر النهضة الحديثة في الشرق الإسلامي تأثراً بالعامل الديني ، على الرغم من أنها تأثرت أيضاً بالعامل القومي كما ذكرنا ؛ وإنا نعتبر قيام الدولة السعودية في عصورها المختلفة بعثاً جديداً للدولة الإسلامية الأولى التي قامت في عصر الرسول الكريم عليه السلام ، فكلتا الدولتين قامتتا على أساس روحى هدفه تصحيح العقيدة ، وتهذيب النفوس ، والارتفاع بمستوى البيئة من جميع النواحي ، وبعث نهضة إصلاحية عامة شاملة .

وكما بعث الرسول - عليه الصلاة والسلام - محمد بن عبد الله بين العرب وهم في فوضى شاملة ، وانحطاط عام ، وتفكك وانحلال ليس لهم وحدة تربطهم ، ولا فكرة صالحة تجمعهم ، فنشر مبادئ الإسلام بينهم ، وجمعهم على التوحيد، فوحد بينهم في العقيدة ، فأصبحوا يدينون بمبدأ واحد ويعبدون الله وحده ، ووحد بينهم في المظهر ، فجعل منهم أمة واحدة ، عربية مسلمة ، قوية عزيزة الجانب ، وأقام لهم دولة على أساس من الدين الحنيف ؛ فكذلك أخذ المصلح الديني والزعيم الإسلامى محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثانى عشر الهجرى يدعو إلى تصحيح العقيدة ، والرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيحة ، واعتناقها من جديد بين النجديين وكانوا قد فسدت عقيدتهم وضلت سيرتهم ، وأخذ الزعيم السياسى النجدى محمد بن سعود يناصر ابن عبد الوهاب فى دعوته الدينية الإصلاحية ،

ويعمل على نشرها ، واعتناق الناس لها ، فقامت على هذا الأساس الدولة السعودية ، وكان قيامها بدءاً لنهضة إصلاحية ابتدأت في قلب الجزيرة العربية ، ثم لم تلبث أن عممتها في سنوات يسيرة . فالدولة السعودية في عصورها الثلاثة وما صاحبها من نهضة إصلاحية ثمرة من ثمرات الدعوة بالمبادئ الدينية الإسلامية التي دعا بها محمد بن عبد الوهاب .

فمن هو إذاً هذا الداعية المصلح ، وما هي تلك المبادئ التي دعا بها ؟ هذا ماسنينه في الفصول الآتية ، مقدمة للحديث عن النهضة العربية السعودية .

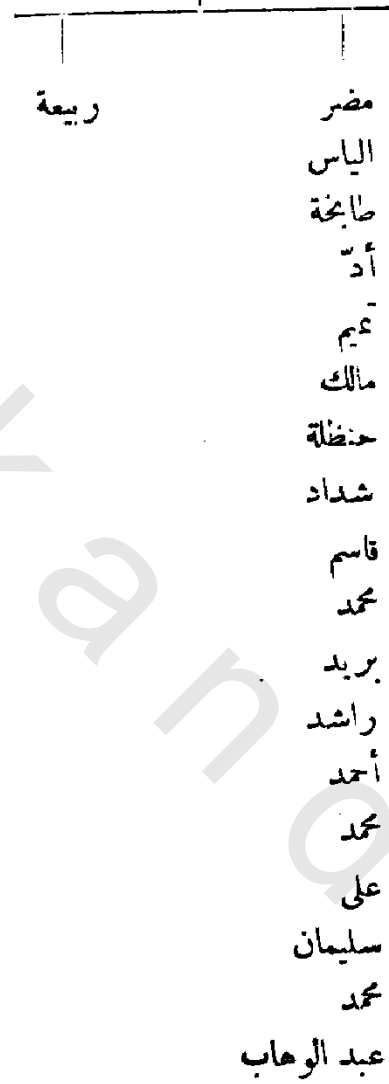
محمد بن عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التيمي النجدي هو صاحب الدعوة الدينية الإصلاحية المعروفة بالمشهد الوهابي ؛ ولقد ولد سنة ١١١٥ هـ / سنة ١٧٠٣ م ^(١) ببلدة العينة الواقعة قريباً من الرياض عاصمة نجد الحالية ، وجهة الشمال منها . وكان هذا البيت رفيع المنزلة معروفة

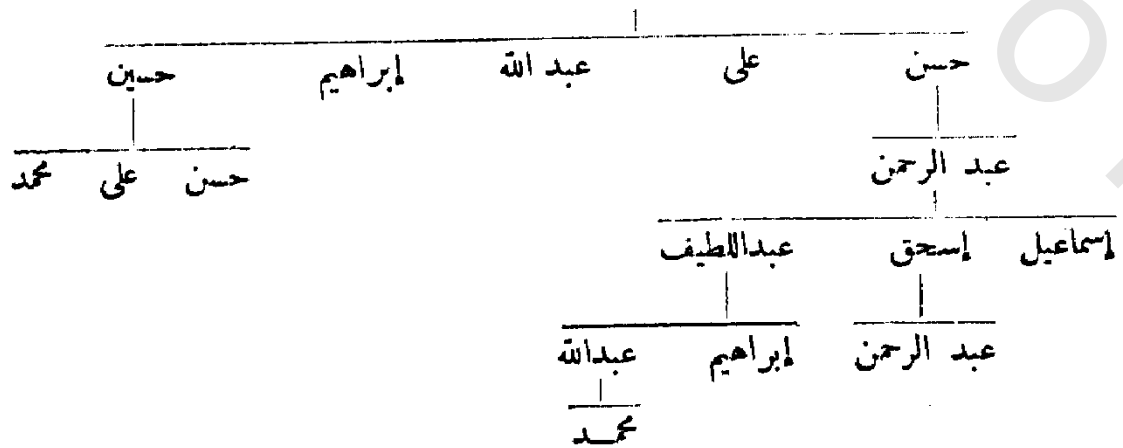
(١) هكذا ورد تاريخ ميلاد الشيخ في كتاب « تاريخ نجد » للألوسي ص ١١١ هامش من الطبعة الثانية ، وفي كتاب « جزيرة العرب » للشيخ وهبة ص ٣٣٥ وكتاب « تاريخ نجد الحديث لأمين الريحاني » ص ٢١ . ولما ترجح هذه الرواية على ما رواه عمر أبو النصر في كتاب « سيد الجزيرة ابن سعود » ص ١٦ من أنه ولد عام ١٦٩٦ م ، وعلى ما ورد في « حاضر العالم الإسلامي » ج ٤ ص ١٦١ من أنه ولد سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م .

نسب محمد بن عبد الوهاب^(١)

عدنان
معد
نزار



محمد بن عبد الوهاب



(١) عن أمين الريحاني في كتابه «تاريخ نجد الحديث وملحقاته» ص ٢٣ من الطبعة الأولى

obeykandi.com

بالعلم ، فقد كان جده سليمان من علماء نجد المبرزين ^(١) وكان والده عبد الوهاب قسماً حنبلياً ، وقاضياً لبلدة العينة ثم لبلدة حريملة .

نشأته ورحلاته

نشأ محمد بن عبد الوهاب في حجر أبيه ، ودرس عليه فقه ابن حنبل ومبادئ العلوم الشرعية والعربية ، وكان يقرأ بشغف وتلهف كل ما يقع تحت يده من كتب التفسير والحديث والعقائد ، وخاصة كتب الشيخ ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم ، ولقد حببت إليه رحلات الدرس وهو صغير ، فذهب إلى مكة حاجاً ثم إلى المدينة وبقي فيها مدة يسمع العلم عن أشياخها ^(٢) ، ثم تابع رحلاته العلمية فسافر إلى الاحساء والبصرة وبغداد ودمشق ^(٣) يمكث في كل منها

(١) يقول صاحب « تاريخ نجد » : كان الشيخ سليمان أعلم علماء نجد في عصره وكانت له اليد الطولى في العلم ، وانتهت إليه رئاسة العلم في نجد .

(٢) كان في مقدمة أشياخ محمد بن عبد الوهاب وأساتذته الذين تأثر بهم إلى حد بعيد الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أحد العلماء النجديين ، ولكنه كان بالمدينة وقت ذهاب ابن عبد الوهاب إليها ، فأحسن لقاءه وشجعه في طريق الدعوة الدينية وإنكار البدع الشائعة ، ثم قدمه إلى الشيخ محمد بن حياة السندی المدني من أعلام علماء المدينة إذ ذاك فصحبه ابن عبد الوهاب وأخذ عنه ، راجع كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » لعثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلي ، ج ١ ، ص ١١ .

(٣) يروي الشيخ وهبه في « جزيرة العرب » ص ٣٣٦ عن « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل أيضاً إلى فارس وتعلم بها الحسكة الشرقية ، كما تعلم في رحلته فنون الحرب وصنع الذخيرة . ويروي الأستاذ فريد وجدى في دائرة المعارف أنه سافر إلى الأستانة ، ولكن بعض العلماء ينكر هذا .

يسمع لعلمائها ويدارسهم العلم .

وكان كلما ذهب إلى مكان أنكر ما يراه من البدع والخرافات شائعا بين الناس وحمل على المنكرات بشدة . ولقد لاقى في سبيل ذلك كثيراً من الصعاب ، وتعرض لكثير من المخاطر ، وكانت خاتمة مطافه أن عاد ثانية إلى نجد بعد أن انتفع بهذه الرحلات وبعد أن شاهد حال العالم الإسلامي في البلاد التي طاف بها ، ورأى ما عليه المسلمون من تأخر وفساد عقيدة ، فعاد إلى نجد وقد صمم على الجهر بالدعوة الإصلاحية الدينية التي كون لنفسه مبادئها بعد التجارب ورحلات الدرس ، والتي ألفت في روعه يوم أن ابتدا يدرس كتب ابن تيمية في العينة وهو لا يزال فتى حدثا ، ويوم أن شرع يقرأ بتلief وشوق إنتاج هذه المدرسة الإصلاحية التي تزعمها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول : إن العوامل التي أثرت في حياة محمد بن عبد الوهاب ، وكوته هذا التكوين فجعلت منه داعية مصاحبا هي عوامل البيت ، والمدرسة ، والبيئة ؛ فلقد رأينا كيف نشأ في بيت العلم بين أبيه الذي كان فقيها حنبليا وقاضيا ، وجده الذي كان شيخ العلماء في نجد ، ومن ينشأ في مثل هذا البيت لا شك أنه يتأثر به ويكون اتجاهه في الغالب اتجاهها علميا ؛ ثم رأينا كيف أنه ابتداء يدرس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية من صغره ، وكيف أنه كان شغوقا بدراستها ، فهو من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا فيها على الرغم من طول العهد بينهما ، وأن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر

الأثر في توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته ؛ كذلك الرحلات التي قام بها كانت مدرسة نافعة له ، فقد وسعت من أفقه ونهته إلى الأخطاء الشائعة في العالم الإسلامي ، وجعلته يصمم على القيام بدعوته الإصلاحية فوق ما استفاده فيها من الدراسات العلمية والتلقى عن مشاهير العلماء في مختلف العواصم الإسلامية .

أما عامل البيئة فهذا أيضاً كان له خطره في حياة ابن عبد الوهاب ولكنه في تأثيره عليه يختلف عن العوامل السابقة التي نعتبرها عوامل إيجابية بالنسبة لابن عبد الوهاب ، إذ أن أثرها عليه كان إيجابياً ، أما البيئة التي نشأ فيها والتي كانت سائدة في سائر البلاد الإسلامية وفي نجد على الخصوص ، فقد كانت بيئة الخرافة والبدعة التي امتزجت بالنفس وأصبحت جزءاً من العقيدة الدينية ، وهي ليست من الدين في شيء ؛ هذه البيئة أثرت في حياة ابن عبد الوهاب وفي توجيهه ، ولكن أثرها فيه كان أثراً سلبياً ، إذ بدل أن يتأثر بها إيجابياً ويصبح مثل الآخرين في أن تختلط الخرافة والبدعة بعقيدته الدينية وتصبح جزءاً منها تأثر بها سلبياً ، فصمم على محاربة الخرافة والبدعة ، وعلى العمل لنشر مبادئ الإسلام السليمة وسيادتها .

ولا يفوتنا أن ننبه بعد هذا إلى أن ابن عبد الوهاب كان على استعداد فطري سليم ، سريع التنبه ، مرهف الحس ، شأن كل الزعماء المصلحين .

برؤيه بالاصلاح في نجد

اختار محمد بن عبد الوهاب قلب الصحراء وطنه نجداً ليبدأ فيه بالدعوة

الى هذه المبادئ التي نادى بها قبله أستاذه الشيخ ابن تيمية ، ولما لاقى في سبيل العمل لها كل اضطهاد وتسكيل .^(١) اختار نجداً وهو يعلم أنها بعيدة إلى حد ما عن متناول عصا الدولة العثمانية ، التي كانت قائمة على رأس كل مناد بحركة إصلاحية ، ظناً من الدولة بأن كل حركة من هذا القبيل تهدد كيائها ، وتصبح خطراً عليها ؛ فواجهها إذاً أن تقضى على أمثال هذه الحركات ، وتضرب على أيدي المصلحين ؛ مع ما كان يعرف ابن عبد الوهاب من ملاءمة طبيعة هذه الدعوة بما فيها من تقشف وزهد لطباع أهل البادية وسكان الصحراء ، فهو يطمع في نصرتهم ومؤازرتهم بما لم ينتظره من الحضر وسكان العواصم الإسلامية الذين استمرؤوا ما هم فيه ، وخذلوا أستاذه ابن تيمية من قبله^(٢) ، إذاً إلى الصحراء ، إلى نجد ، إلى الوطن الأول .

عاد محمد بن عبد الوهاب إلى حريملة من بلاد نجد ، حيث انتقل والده الشيخ عبد الوهاب الذي تولى القضاء هنا أيضاً كما كان في العينة ، وابتدأ دعوته عقب العودة منادياً بمحاربة البدع ، ونبد الخرافات ، والتخلص مما لصق بآلئ الإسلام وليس منها ؛ ومبينا لمبادئه الإصلاحية التي سنتكلم عنها

(١) عاش شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أحد علماء حران في القرن السابع وأوائل الثامن الهجري ٦٦١ - ٧٢٨ هـ وقد كان حجة في العلوم الشرعية وصاحب دعوة إصلاحية نادى فيها باتباع طريق السلف ومحاربة البدع ، وفتح باب الاجتهاد وترك التقليد ؛ تنقل بين مصر والشام ، وسجن واضطهد إلى أن مات في معتقله بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ .

(٢) راجع كتاب « الشرق الإسلامي في العصر الحديث » ص ١٩٠ .

في الفصل التالي . أنكر على النجديين عقائدهم المشوبة بالبدع والخرافة ، ووقع بينه وبين والده الشيخ عبد الوهاب جدال ومخاصمة من جراء ذلك ، وأقام على هذا عدة سنين حتى توفي والده عام ١١٥٣ هـ (١) .

استمرار الخصومة بينه وبين الشعب النجدي

بعد ذلك أخذ صاحب تلك الدعوة الجديدة يشتد في نكيره على النجديين ومن حوله بعض الأنصار الذين آمنوا بصحة مايدعو إليه ، كما أخذ خصومه يلحون في الكيد له ، حتى اضطر إلى مغادرة حريملة بعد أن تأمر جماعة من عبيدها على قتله ؛ وبعد نجاته من هذه المؤامرة بحفظ من الله ، ترك حريملة باحثاً عن النصير الذي يشد أزره ويحميه حتى ينشر دعوته الإصلاحية في أنحاء نجد ، وهو يعلم أن كل نظرية إصلاحية لا تنتصر بقوتها وصدقها فقط ، بل لابد لها أيضاً من سلطان يحميها حتى تنمو وتؤتي أكلها ، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ذهب بعد ذلك إلى مولده العينة واستطاع في البدء أن يقنع أميرها إذ ذاك عثمان بن حمد بن معمر بصدق دعوته ، وأن يكسب مؤازرته ؛ ولكن ابن معمر لم يلبث أن رأى نفسه مكرها على طرد محمد بن عبد الوهاب من بلده ، بعد أن أغضب هذا الثائر أهل تلك الناحية من نجد بأشتداده في النكير عليهم ، وبقطعه الأشجار التي كان يحج إليها الناس ويتبركون بها ، وبهدمه القبة القائمة على قبر زيد بن الخطاب ببلدة الجيلة ؛ فضج الناس لهذا وطلب أمراء هذه الجهة وزعمائوها على لسان سليمان بن محمد

(١) راجع كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » ج ١ ، ص ١٢ .

ابن عزيز الحميدى رئيس بنى خالد وصاحب الاحساء والقطيف من ابن معمر قتل محمد بن عبد الوهاب ، فكتب سليمان إلى ابن معمر يقول :

إن المَطْوَع الذى عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال ، فإذا وصلت كتابي فاقتله ، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذى عندنا فى الاحساء (١) . فلم ير أمير العينة بدءاً من التخلص من هذا الداعية الثائر الذى ألب عليه الناس من حوله .

اتصاله بأل سعود

ذهب محمد بن عبد الوهاب بعد هذا إلى الدرعة ونزل فى بيت رجل من أهلها (٢) ثم عمل على الاتصال (٣) بأمرها محمد بن سعود ، فقابل الأمير وأقنعه بصحة ما يدعو إليه ، وبصدقه فى دعوته ، وأنه إنما يدعو إلى تعاليم الإسلام الصحيحة ، وإلى ترك البدع ، ثم إلى أن يلتزم الأمراء حدود الشرع فى أحكامهم

فتعهد له الأمير بحمايته ومؤازرته فى نشر المبادئ الدينية الإصلاحية التى يدعو إليها وكان محمد بن سعود رجلاً سليم الفطرة بعيد النظر ، فإنه عند

(١) هذه هى رواية صاحب « تاريخ نجد » ص ١١٤ ، وتأييدها رواية ابن بشر فى « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٤ ؛ والشيخ وهبه يروى فى كتابه « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ص ٣٣٧ ، أن صاحب الاحساء هدد بغزو العينة ان لم يخرج منها ابن عبد الوهاب .

(٢) هو عبد الله بن سويلم العرينى ، راجع « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ص ١٦ ، و « تاريخ نجد » ص ١١٥

(٣) يرجع الفضل فى التمهيد للاتصال بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلى ثنيان ومشارى أبناء سعود ثم إلى زوج محمد بن سعود التى كانت عاقلة بعيدة النظر ، راجع « عنوان المجد » ج ١ ص ١٥ ؛ « تاريخ نجد » ص ١١٥ .

التقاءه بابن عبد الوهاب ، وعند ما عرض عليه هذا دعوته ، وبين له أنها دعوة الإسلام الصحيح ، وطلب منه أن يعتنقها ، وأن يؤازره ويساعده في نشرها حتى تسود ، وحتى يحكم الزعماء العرب شعبهم على كتاب الله وسنة رسوله ، وحتى يقلع هذا الشعب عن الاعتقاد بالخرافة والبدعة ، ويرجع إلى المبادئ الإسلامية الصحيحة ، عند هذا رأينا محمد بن سعود يقتنع بهذه الدعوة في سهولة ويسر ؛ ثم رأيناه يخطر له في هذه اللحظة الفاصلة خاطر هام ، ويقدر أن هذه الدعوة الإصلاحية الدينية سوف تسود وسوف تفتح البلاد باسمها بمثل ما حدث في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وهنا فكر تفكير السياسى البعيد النظر ، واشترط على ابن عبد الوهاب أن يساكن آل سعود مدى الحياة ، ولا يفارقهم حتى بعد سيادة الدعوة وانتشارها ؛ وكان يبغي بهذا أن تكون للبيت السعودي السيادة والحكم في كل البلاد التي ستفتح باسم الدعوة ، ولقد قبل ابن عبد الوهاب هذا الشرط ، ومن الطبيعى أن يقبله برضاء وسرور لأنه ما كان يبغي إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن تسود مبادئ الإسلام الصحيحة ، وما كان يبغي من وراء ذلك ملكاً ولا سلطاناً ، ثم بشر الأمير بأن الله سيزيد في ملكه بسبب نصره لهذه الدعوة والعمل لنشرها . كان هذا أول اللقاء بين صاحب المبادئ الوهابية وبين آل سعود ، وكان ذلك سنة ١١٥٧ هـ ^(١) / ١٧٤٤ م .

(١) هكذا ورد في « عنوان المجد في تاريخ نجد » ج ١ ص ١٦ ، وفي « جزيرة العرب في القرن العشرين » ص ٣٣٧ ، واقد ذكر الألوسى في « تاريخ نجد » ص ١١٥ أن ذلك كان سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) ولاندرى على ما اعتمد الألوسى في هذا مع أن أهم مصادره كتاب « عنوان المجد » السابق .

نجمه في نشر دعوتہ ووفاته

ومن هذا الوقت ساكن ابن عبد الوهاب آل سعود في الدرعية ، ثم صاهرهم ، وما زال يعمل على نشر دعوتہ ، وما زالوا هم يمدونه بالتأييد ، ويفتحون البلاد المجاورة باسم هذه الدعوة وفي سبيل نشرها ، حتى توفي صاحبها في ذي القعدة (١) سنة ١٢٠٦ هـ / يونيه - يولييه سنة ١٧٩٢ م بعد أن أبلى في سبيل الإصلاح بلاء حسناً ، وألف عدة من الكتب والرسائل التي أصبحت أساساً للدعوة على يد خلفائه من بعده ، مثل كتاب التوحيد ، وتفسير القرآن ، وكتاب كشف الشبهات ، وغيرها من مؤلفاته .

مات ابن عبد الوهاب بعد أن رأى مبادئه الإصلاحية تسود في جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاءه في نشر دعوتہ إلى يومنا هذا ، والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة .

المبادئ الوهابية

هذه المبادئ الإصلاحية الدينية التي دعا محمد بن عبد الوهاب إلى العمل بها ، والتي عرفت بين الناس بالمذهب الوهابي ، لم تأت في الواقع بمجديد خارج عن مبادئ الإسلام ؛ وهي في مجملها راجعة إلى تعاليم الدين الحنيف المعروفة ، تعود إليه في أصولها وفروعها .

المذهب الوهابي في الأصول

أما هذا المذهب من حيث العقيدة فهو دعوة سنية سلفية ، إذ هو راجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو ينهج نهج السلف الصالح فيما يتعلق بآيات الصفات وأحاديثها (التي ثبتت لله - جل شأنه - صفة من الصفات) ؛ فالوهابيون يقرونها على ظاهرها ، ويكفون علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ، وعدم الخوض في كنهها ، كما كان يفعل السلف الصالح .

وإليك ما يقوله في هذا الموضوع أحد علماء الوهابيين ، وابن صاحب الدعوة ، الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وقد سئل عن مذهبهم من علماء مكة وقت أن دخلها مع الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١٨ هـ ، قال الشيخ : ومذهبنا في الأصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التي هي الأسلم والأعلم والأحكم وهي أننا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ؛ فإن مالكا ،

وهو من أجل علماء السلف ، لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى » قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة (١) .

وتكاد تكون تعاليم ابن عبد الوهاب في هذه الناحية مطابقة تمام المطابقة لما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، خصوصا في فهم معنى التوحيد لله ، وفي التصريح بأن الإخلاص في عبادته تعالى يقتضى عدم إقرار القول بالوسيلة ؛ ولاغربة في أن يتأثر الإمام محمد بن عبد الوهاب بشيخ الإسلام ابن تيمية ، فلقد قرأ كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه ، وتأثر بها ، وتلمذ عليها كما قدمنا .

المذهب الوهابي في الفروع

أما من حيث التطبيق العملي في الفروع من العبادات والمعاملات فالمذهب الوهابي في جملته هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وإن كان الوهابيون ينفردون عن بقية الحنابلة في أمرين :

الأمر الأول أنهم ينكرون على من قلد أحداً غير الأئمة الأربعة « مالك » و « أبي حنيفة » و « الشافعي » و « ابن حنبل » في مذاهبهم لعدم ضبط المذاهب الأخرى فيما يرون ، مثل مذهب الشيعة وغير

(١) راجع « الهدية السنية » ص ٤٤ ، طبعة المنار سنة ١٣٤٢ هـ ؛ و « الوهابيون في الحجاز » ص ١٥١ طبعة المنار سنة ١٣٤٤ هـ ؛ و « تاريخ نجد » ص ٤٨ ، طبعة المطبعة السلفية سنة ١٣٤٧ هـ .

وأما الأمر الثانى فهو أن الوهابيين فى بعض المسائل الفرعية إذا صح لهم فيها رأى مؤيد بنص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الثلاثة غير ابن حنبل ، إذا صح لهم مثل هذا الرأى أخذوا به وتركوا مذهب ابن حنبل فى هذه المسألة بخصوصها كما فى مسألة إرث الجد والإخوة ، وأى الفريقين يقدم على الآخر فى الإرث ، فإنهم فى ذلك يخالفون رأى ابن حنبل ويتبعون رأى الأئمة الثلاثة الآخرين ، فيقدمون الجد بالإرث لأن هذا هو الذى صح عندهم وترجح (١) .

وهذا الأمر الأخير مبنى على بعض الأصول التى قررها محمد بن عبد الوهاب وهى : لا معصوم من الخطأ غير الأنبياء ، فليس هنالك من يحرم الإسلام مخالفته سوى نبي الله عليه الصلاة والسلام ؛ ولا يجوز للمسلم أن يدع حكم الله وحكم رسوله إذا ما بان له واتضح لقول إنسان ما ؛ وللمسلم أن يتفهم كتاب الله ويتدبره ؛ كما أنه لا حرج على العقول ، وإن التفكير فى حدود الإسلام ، ودائرة القرآن والسنة مباح ، بل لازم مفروض (٢) .

وعلماء الوهابيين بهذا لا يدعون لأنفسهم ، ولا لإمامهم درجة الاجتهاد المطلق ؛ فهم إنما يتبعون طريقة بعض أئمة المذاهب الذين سبقوهم بالاختيار والترجيح فى بعض المسائل مخالفة للمذهب الذى التزموا فيه تقليد صاحبه ، مثل الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

(١) راجع « تاريخ نجد » ص ٤٨ ؛ و « الهدية السنية » ص ٤٤ .

(٢) راجع « الثورة الوهابية » ص ١٤ ، طبعة المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٤ هـ /

فالوهابيون إذاً من خيرة المسلمين المتمسكين بمبادئ الإسلام والعاملين على نشره وسيادته على الرغم مما أشاعه الخصوم السياسيون عنهم في بعض العصور ، وعلى الرغم من تطرف أتباع الإمام ابن عبد الوهاب أحياناً في إنكار ما ينكرونه ، وفي الشدة على المخالفين ومرتكبي البدع ؛ فمن الطبيعي أن تكون كل دعوة إصلاحية حازمة في إنكار المنكر والقضاء على الفساد ، خصوصاً في مبدئها وفي أول ظهورها ، ومن الطبيعي أيضاً أن يصحب ذلك تطرف بعض الأتباع .

ما أشيع عنه المذهب ، وهواب الوهابيين عنه

هذا هو المذهب الوهابي في أصوله وفروعه ، وهو كما أثبتنا غير ما أشيع عن الوهابيين مشوهاً لمبادئهم لأسباب سنذكرها ، ولكي نعطي فكرة تامة صحيحة عن الموضوع من جميع جهاته ، فإننا ثبت هنا هذه الإشاعات وجواب الوهابيين عنها ، كما صورها ورد عليها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مع بعض التصرف ، قال (١) : وأما ما يكذب علينا ستراً للحق ، وتليساً على الخلق ، بأننا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى (لا إله إلا الله) حتى نزل عليه : فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - مع كون الآية مدنية - ؛ وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فتتلف مؤلفات أهل المذاهب لتكون فيها الحق والباطل ؛ وأنا نكفر

(١) راجع « الهدية السنية » ص ٤٦ وما بعدها ، و « الوهابيون في الحجاز »

الناس على الإطلاق ، أهل زماننا ، ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه - ومن فروع ذلك أننا لا تقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا ، وأن أبويه ماتا على الشرك - ؛ وأنا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونحرم زيارة القبور الشروعة مطلقا ؛ وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ؛ وأنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم . . .

فجوابنا عن جميع هذه الحرافات قولنا: سبحانه هذا بهتان عظيم ! فمن روى عنا شيئا من ذلك ، أو نسب إلينا فقد كذب علينا وافترى ؛ ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ما عندنا ، علم قطعياً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين ، وإخوان الشياطين ، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة ، وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأنه لا يغفره ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . . .

والذى نعتقد أنه رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق ، وأنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل ، إذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وأنه يسمع سلام المسلم عليه ، وتسبىح زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن اتفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى هم وغمه

كما جاء في الحديث عنه ؛ ولا ننكر كرامات الأولياء ، ونعترف لهم بالحق ،
وأنهم على هدى من ربهم ، متى ساروا على الطريقة الشرعية ، والقوانين
المرعية ، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا في الحياة ولا بعد
المات (١) .

الأسباب التي دعت إلى التشنيع بالوهابيين

ونحن إذا أردنا أن نبحث عن الأسباب التي دعت إلى التشنيع بالوهابيين
وإظهارهم بمظهر المخالف لتعاليم الإسلام ، فإننا نستطيع أن نرجعها إلى ثلاثة
عوامل .

أولا :

عامل ذاتي يرجع إلى نفس المبادئ الوهابية ، وإلى تطرف الوهابيين في
فهم التوحيد الذي دعا إليه الإسلام ، وفي محاربة البدع المنعى عنها ، فهم مثلا
يروون أن الاستغاثة والتوسل بالرسول عليه السلام ، أو بولي من أولياء الله
تتناهى مع التوحيد الواجب لله (٢) ، ويقولون : إن من قال : يارسول الله !

(١) نقل ابن بشر الحنبلي عن محمد بن عبد الوهاب نفسه في هذا المعنى رسالة مفصلة
كان قد بعث بها إلى علماء القصيم يبين فيها عقيدته ويرد بها على كتاب ابن سحيم « الذي
افترى فيه على الشيخ رحمه الله ولفق فيه الأباطيل » فراجع كتاب ابن بشر « عنوان المجد
في تاريخ نجد » ج ١ ، ٦٧ - ٧١ .

(٢) يقول محمد بن عبد الوهاب في رسالة له : « إن أول من أدخل الشرك في هذه =

طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير محالاً يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك ،
يهدر دمه ويستباح ماله ؛ وإن التوصل بغير الله عبادة لذلك الغير ، وإن لم يعتقد
الفاعل ذلك ؛ ويقولون : إن المشرك مشرك سواء سمي شركه شركاً أو توسلاً ،
وإن القول لا عبرة به ما لم يؤيده العمل فمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ،
وهو يدعو الموتى ، ويستغيث بهم ، ويسألم قضاء الحاجات ، وتفريج الكرب ،
فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، ولا عبرة بقوله ؛ وهم يردون بذلك على
من عارضهم بحديث « من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقد عصم ماله
ودمه . . . » (١) وقد عرف عنهم أنهم ينكرون على البوصيري قوله في البردة :
يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم
وقوله :

إن لم تسكن فى معادى آخذاً يدي * فضلاً وإلا ققل يا زلة القدم
وقوله :

* ومن علومك علم اللوح والقلم *

ويقول الشيخ وهبة فى هذا : « فإن هذا القول مجازفة وغلو ، وفيه مخالفة

= الأمة المرافضة الذين يدعون علماً وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكرب »
المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٥ .

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٣٣٩ - ٣٤١ .

صريحة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ، (والوهايون) فوق هذا يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر » .

كما أنهم يقولون إنا نعتقد بالشفاعة ونقرها لمن ثبتت له على الوجه الذى لا يتنافى مع التوحيد مثل أن تقول : اللهم شفّع فينا نبينا محمداً يو القيامة . وأما ما يجرى على ألسنة الناس مثل قولهم : يا رسول الله أسألك الشفاعة ! فيعتبرونه من الشرك .

ويرون أيضاً أن تخصيص القبور والبناء والكتابة عليها من الأمور المبتدعة المنهى عنها الواجب إزالتها ، ويستدلون لذلك بما ورد من أحاديث ، ولهذا فقد هدموا في مكة والمدينة القبور المرتفعة وسووها ، وأزالوا القباب عند استيلائهم على مكة والمدينة في القرن الماضى ، وفي الأيام الأخيرة في سنتى ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م ^(١) .

كما أنهم يرون « إعلان الحرب » على البدع الشائعة في الأمصار « مثل الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ قصة المولد الشريف اعتقاداً بأنه قرينة » ومثل الزيادات على الأذان المشروع .

(١) نستطيع أن نقول : إن المذاهب الإسلامية المختلفة تكاد تكون متفقة في الاعتراف بالأحاديث النبوية التى تنهى عن تخصيص القبور وعن البناء والكتابة عليها ، ثم عن اتخاذ المقابر مساجد أو استقبال القبور فى الصلاة ؛ ولكن الوهابيين يمتازون عن غيرهم بأنهم لا يتساهلون بشأن المخالفات التى تقع فى هذا الباب ، بل يعملون على إزالتها بكل ما أوتوا من قوة فى أى مكان يكون لهم فيه النفوذ ، وإن اصطدم ذلك مع الشعور العام وجرحه .

ولعل السر في موقف التشدد الذي يقفه أتباع محمد بن عبد الوهاب هنا هو أنهم سلفيون لا يرون التأويل في النصوص الواردة ، بل يأخذون بظاهرها ويتمسكون بحرفيتها .

ثانياً :

عامل سياسي يرجع إلى الخلاف الذي قام بين آل سعود الوهابيين وبين الدولة العثمانية التي كانت الجزيرة العربية جزءاً من أملاكها وقت أن شرع الوهابيون يستقلون بالحكم فيها في القرن الماضي ، ذلك الخلاف الذي سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد علي والوهابيين ، والذي صحبه ، وترتب عليه كثير من الدعايات ضد الوهابيين ، خصوم الدولة السياسيين وإظهارهم بمظهر المعتدى على الدين الخارج على تعاليمه ، حتى تسهل مقاومتهم ، ويتيسر القضاء عليهم .

ولا ننسى كذلك هنا أن نشير إلى الخلاف السياسي بين آل سعود الوهابيين وبين أشرف مكة ، ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين ؛ فلقد ترتب على استيلاء الوهابيين على الحجاز ودخولهم مكة سنة ١٢١٨ هـ أن فقد الأشرف سلطانهم وموارد رزقهم ، وأن تشردوا في مختلف البلاد الإسلامية ، وكان من الطبيعي بعد هذا أن يسعوا جهدهم للأخذ بالتأثر من خصومهم السياسيين ، وأن يستعملوا سلاح الدعاية الفتاك ، فشنعوا على الوهابيين ، ورموهم بالخروج على تعاليم الإسلام ، وشوهوا الدعوة الوهابية وصوروها شيئاً بعيداً عن الإسلام وبدعاً جديداً في الدين ؛ ثم لقيت هذه الدعاية آذاناً صاغية وأرضاً خصبة

خصوصاً وهي صادرة من الأشراف أبناء الرسول عليه السلام وسدنة البيت الحرام بعد أن أخرجوا من ديارهم وشردوا .

أما زعماء نجد المحليون فعند ما عجزوا عن مقاومة الوهابيين بالسيف عمدوا إلى سلاح الدعاية أيضاً لينالوا من خصومهم ، وسلكوا طريق الأشراف الذي سبقت الإشارة إليه ، مدفوعين بمثل الأسباب التي شرحناها . وفي هذا يقول الشيخ وهبه (١) : « ولقد سمعت في نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محمد رسول الله (بحذف ميم محمد) أي لا أحد رسول الله ، وهذا كله تنفيراً للأتراك من خصومهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب » .

ثالثاً :

عامل اجتماعي يرجع إلى ما كان عليه المسلمون من تأخر ، وخاصة في شبه الجزيرة العربية ، وقت أن شرع محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ينادون بالمبادئ الإصلاحية ويحاربون البدع التي كانت شائعة في نجد بغير هوادة ولا رفق ، وبما عرف عنهم من شدة وتطرف ، في الوقت الذي كانت قد عمت فيه البدع واختلطت بالعقيدة الدينية ، وأصبحت جزءاً متمماً لها في نفوس شعب جاهل أصبح مثلاً يعتقد في بعض الأشجار والأموات أنها تضر وتنفع ، وأن تعظيمها والقصد إليها من الدين ؛ وأنت إذا أنكرت في رفق ولين على البدع الجاهل

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

الذى يعتقد أنه على حق ، وأن ما يأتيه من الدين نقر منك وعاداك ؛ فما بالك إذاً إذا كان الإنكار شديداً ، والمؤاخذه لاذعة ؟ ! لا شك أنه يشور ضدك ، ويرميك بالمروق عن الدين ، والخروج على تعاليمه ، كما نشاهد فيما يقع بين بعض الدعاة المصلحين وبين عامة الشعب في هذا العصر الذى نعيش فيه ، على الرغم من تنبه الأذهان ، ووضوح الحق من الباطل .

تطور المذهب الوهابى

هذا هو إجمال القول فى المبادئ الوهابية وعقيدة الوهابيين ، ولكننا نرى أن المذهب يتطور بمرور الزمن ، شأن كل المذاهب الإصلاحية دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية ، ونقصد من تطور المذهب تطور الفهم لتعاليمه الذى ينبنى عليه الاختلاف فى كيفية تنفيذها وفى صورة العمل بها ؛ فإننا نرى مثلاً أن الملك عبد العزيز آل سعود وهو زعيم الوهابيين وإمامهم ، يعقد معاهدة صداقة وأخوة إسلامية مع الإمام محيى ملك اليمن الشيعى الزيدى سنة ١٩٣٤ م بعد الحرب التى قامت بينهما ، ويعترف الإمام الوهابى فى هذه المعاهدة بأن الإمام محيى ملك اليمن وحاكمها الشرعى . وفى ذلك اعتراف ضعى بالمذهب الزيدى - وهو المذهب الذى يقوم عليه نظام الحكم فى اليمن - مذهباً من مذاهب الإسلام ؛ وذلك يخالف ما سبق أن قررناه فى المذهب الوهابى من أن الوهابيين ينكرون على من قلده أحداً غير أصحاب المذاهب الأربعة .

ومن الأمثلة التى تدل على تطور الفهم لتعاليم المذهب الوهابى مسألة تدخين

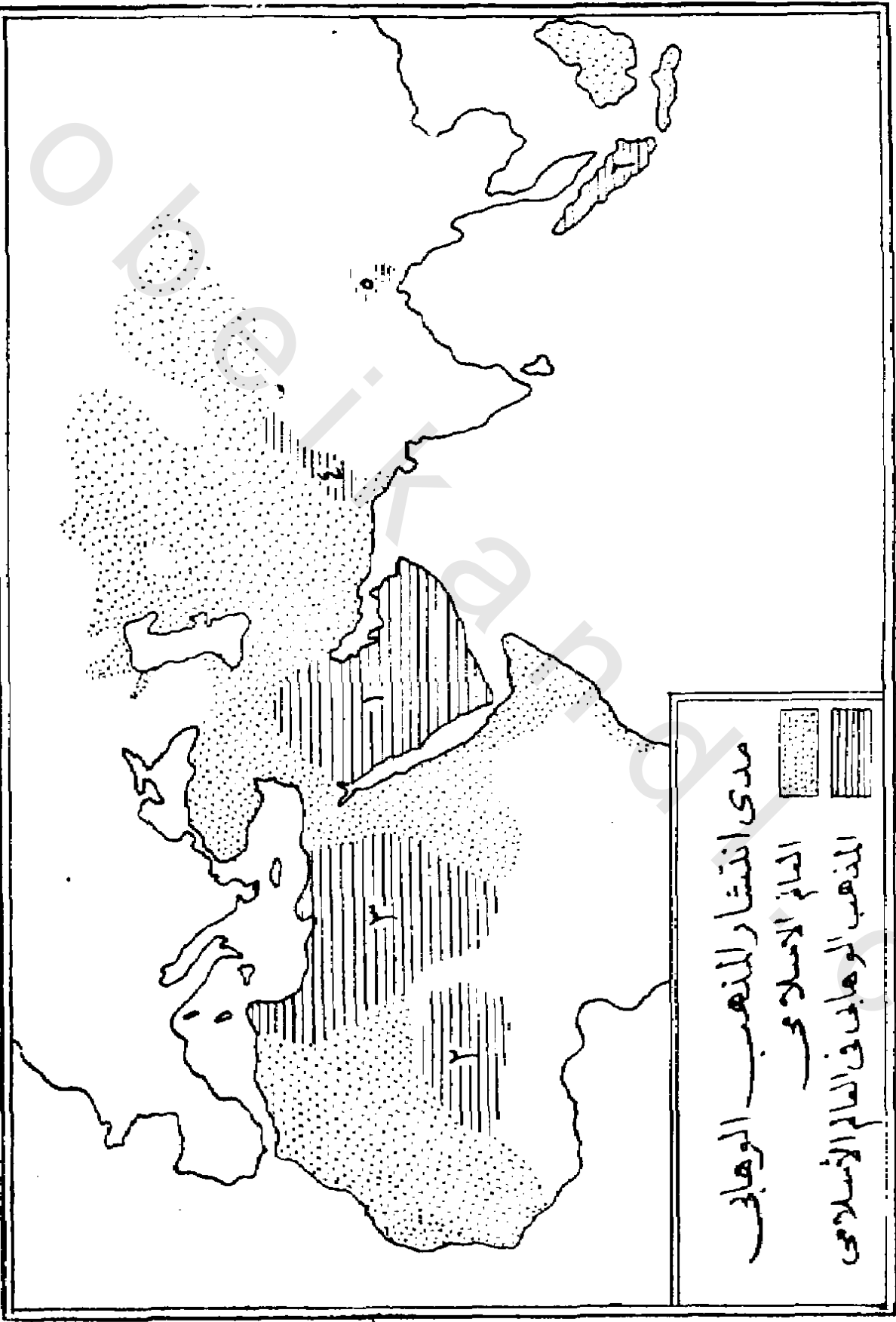
التبغ ؛ فالوهابيون يحرمون التدخين ويجلدون المدخن أربعين جلدة ، وكانوا أولاً لا يسمحون لغيرهم من أفراد المسلمين الذين على غير مذهبهم بالتدخين في حضرتهم ما دام في استطاعتهم منعهم عن تعاطيه ؛ ولكنهم أخيراً بعد المحادثة التي جرت بين الحكومة المصرية وبين الحكومة العربية السعودية سنة ١٩٢٦ م في عدة مسائل ومنها مسألة التدخين ، وبعد أن أفتى علماء مصر بأن التدخين مكروه وليس محرماً ، بعد هذا رأينا الوهابيين لا يتشددون في أمر التدخين بمثل ما كانوا يفعلون أولاً ، ورأيانهم يتساهلون خصوصاً إذا كان المدخن غير نجدى . « ومما لا شك فيه أن حكومتهم الأولى كانت أصرم في هذا من الحكومة الحالية » (١) .

وهذا التطور الذي طرأ على المذهب الوهابي نعتبره نتيجة لتغير الأحوال باتساع ملك الوهابيين ، واتصالهم بغيرهم من الممالك ، بعد أن كانوا قابعين في قلب الصحراء يعيشون وحدهم منعزلين عن العالم تقريبا ، ونعده أمراً مترتباً على اشتباك مصالحهم بمصالح غيرهم ، وقد أصبحوا دولة ذات صلات بسائر الدول . وأخيراً فالتطور من سنن الطبيعة .

انتشاره خارج الجزيرة العربية

إن استيلاء السعوديين على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة في أوائل

(١) الشيخ وهبه في « جزير العرب » ص ٣٤٣ .



موطن انتشار المذهب الوهابي : ١ - نجد ، قلب بلاد العرب ، حيث ظهر المذهب الوهابي وانتشر في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، وحيث تقوم الآن الدولة الوهابية الكبرى ، المملكة العربية السعودية . ٢ - مملكة سوكوتو الوهابية التي قامت على أقاض مملكة جبير ، على مجرى نهر النيجر بالسودان ، من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٠٠ م . ٣ - واحة الكفرة ، حيث قامت الحركة السنوسية المتأثرة بالمذهب الوهابي على يد السيد محمد علي السنوسي سنة ١٨٤٤ م . ٤ - الدولة الإسلامية الوهابية في البنجاب التي ظهرت فيما بين ١٨٢٠ و ١٨٣٠ م . ٥ - منطقة مدينة بتنا بجهة البنغال بالهند ، حيث ابتدأ الداعية الوهابي الهندي الأمير سيد احمد دعوته ببلاد الهند سنة ١٨٢٠ م . ٦ - جزيرة سوهو . حيث طلبت الدعوة الوهابية على يد أحد الحجاج من أهل هذه الجزيرة سنة ١٨٠٣ م . عن كتاب All-Islam لبيول شيميدس

obeykandi.com

القرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الإسلامية ليتعرفوا المذهب الوهابى ، ويلتقوا بدعائه ويناقشوه فيما يدعون إليه ؛ وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج المبادئ الوهابية وتعصبوا لها ، ثم حملوها معهم ودعوا إليها فى بلادهم بعد رجوعهم إليها ، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى السودان فى أفريقيا وإلى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعائهما فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية ، ثم محاولة إقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفيذ الأحكام وتقيم الحدود ، فقامت الثورات على يد الدعاة الوهابيين ضد الأوضاع السائدة فى البلاد التى غزتها الدعوة ، وظهرت نهضات الإصلاح الدينى السياسى الاجتماعى ، ورأينا ما حدث فى جزيرة العرب بعد اتصال ابن عبد الوهاب بآل سعود ومؤازرتهم له فى نشر دعوته يحدث مثله فى السودان والهند وسومطرة ، ولكن فى صورة مصغرة

أما فى السودان فقد كان الداعية الوهابى هو الشيخ عثمان دانفوديو (١) ، أحد أفراد قبيلة الفولا ، وهى من قبائل الرعاة السودانية ؛ فإنه بعد التقائه بالوهابيين فى موسم الحج ، وبعد اعتناقه للمبادئ الوهابية عاد إلى بلاده وأخذ

(١) يسميه شكيب أرسلان عثمان دانغ فوديه تقلا عن الميسو موريس فال مفتش المعارف فى المستعمرات الفرنسية ، ولعل هذا التحريف من آثار اللهجة الفرنسية . راجع « حاضِر العالم الإسلامى » ج ٣ ، ص ٢٣ .

يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه ، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة
الأموات التي كانت لا تزال مختلطة بالعقيدة الإسلامية في نفوس السودانيين ؛
ثم أخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة ويذيع مبادئ ابن عبد الوهاب
فاستطاع أولاً أن يجمع حوله قبيلته في وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين المتين
بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متخاذلة ؛ وبعد ذلك ابتداء حروبه
في سنة ١٨٠٢ م ضد قبائل الحاوسة الوثنية ، وقضى على مملكة جبير التي كانت
تقع على مجرى نهر النيجر ، ولم تأت سنة ١٨٠٤ م حتى أقام عثمان دانفوديو
مملكة سوكونو في السودان على أنقاض مملكة جبير بين النيجر الأدنى
والبنوي . فقامت هذه المملكة على أساس من الدعوة الدينية الوهابية ، وامتد
رواقها على جميع الأقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد ، وبقيت محافظة على
استقلالها ووحدةها نحو قرن حتى استطاع الاستعمار الأوربي أن يقضى على
ما كان لها من استقلال ووحدة ، وانفصلت عنها فيما بعد ممالك بورنو ، والأداموا ،
وغاندو ، ونوبي «ولكنها لا تزال تعترف بسيادة سلطان سوكونو الدينية» (١) .

وهكذا انتشرت الدعوة الوهابية في السودان وكانت سبباً في قيام مملكة
بلغت مساحتها أربع مائة ألف كيلو متراً مربعاً وبلغ عدد سكانها عشرة ملايين من
الأنفس [وهؤلاء وإن كانوا قد فقدوا استقلالهم وغلبهم على أمرهم المستعمر
الأوربي بماله من قوة وعدة ، فهم قد كسبوا الإسلام ولا زالوا يتحلون
بفضائله ويتمسكون بعبادته من وقت أن ظهر بينهم عثمان دانفوديو الداعية

الوهابي إلى الآن ، وسبقون كذلك إلى ما شاء الله (١) .

كذلك عزت الدعوة الوهابية بعض المقاطعات الهندية بواسطة أحد الحجاج الهنود ، وهو سيد أحمد ، وقد كان هذا الرجل من أمراء الهند ، وذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج بعد أن اعتنق الإسلام سنة ١٨١٦ م ، فلما التقى بالوهابيين في مكة اقتنع بصحة ما يدعون إليه وأصبح من دعاة المذهب الذين تملكهم الإيمان وسيطرت عليهم العقيدة . ولما عاد سنة ١٨٢٠ م إلى وطنه في الهند بجهة البنغال وجد ميدانا صالحا للدعوة بين سكان المنطقة من الهنود المسلمين الذين اختلطت عقائدهم وتقاليدهم الدينية بالكثير من عقائد الهندوس وعوائدهم ، فابتدأ الدعوة بمدينة بتنا ودعا إخوانه المسلمين ليؤمنوا بمبادئ الإسلام الصحيحة ، ولتركوا البدع والعقائد الهندوسية التي كانت شائعة بينهم ؛ وبعد مرحلة من « الجهاد » استطاع هؤلاء المسلمون الوهابيون أن يقيموا دولة إسلامية على أساس من المبادئ الوهابية بجهة البنجاب تحت حكم الداعية سيد أحمد ؛ ولم تلبث هذه الدولة طويلا حتى قضى عليها الاستعمار الانكليزي في العقد الرابع من القرن التاسع عشر .

ولكن الدعوة الوهابية ظلت قائمة هناك على يد خلفاء سيد أحمد من بعده ،

(١) راجع كتاب Geschichte der Arabischen Litteratur لبروكلمان

ج ٢ ، ص ٥١٠ ؛ وكتاب All-Islam لبول شميدس ص ٨٩ — ٩٠ ؛ وكتاب

« حاضر العالم الإسلامي » ج ٣ ص ٢٣ .

ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها ، ولا يزال الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام على المذهب الوهابي ، وإن كانوا قد افرقوا إلى عدة فرق متأثرين بالبيئة الهندية ؛ وأكثر الفرق الوهابية الهندية عددا وأقواما شأنا الآن هي فرقة الفارازي « Farazis »^(١)

وفي سومطرة ابتدأت الدعوة الوهابية سنة ١٨٠٣ م على يد أحد الحجاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحج في نفس السنة بعد أن التقى بالوهابيين واقتنع بصحة ما يدعون إليه ؛ فلما عاد إلى وطنه ابتدأ الدعوة ، ثم تطورت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين الوهابيين الذين أصبحوا قوة كبيرة في سومطرة وبين غير المسلمين من السكان الأصليين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٨٢١ م أن تناهض هذه الحركة القوية محافظة على كيانها ونفوذها هناك . واستمرت المناوشات والحروب بين المستعمرين الهولنديين وبين السومطريين الوهابيين مالا يقل عن ستة عشر عاما ، ثم انتهت بتغلب قوى الاستعمار على القامعين بالحركة الوهابية^(٢) .

كذلك الحركة « السنوسية » التي ابتدأت في الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ، ثم غزت طرابلس بعد ذلك وانتشرت في شمال أفريقيا ، ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت في السودان ؛ هذه الحركة السنوسية التي ناهضت

(١) راجع All-Islam ص ٩٠ — ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ٩١ .

الاستعمار في كل مكان حلت فيه ، والتي كانت ولا زالت مدرسة تربية وتهذيب للشعب السنوسي قد تأثرت بالدعوة الوهابية في أساسها . فالسيد محمد علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية كان في مكة يطلب العلم وقت استيلاء الوهابيين عليها ، فعاشرهم وتلمذ على علمائهم وتأثر بمذهبهم ، ثم عاد إلى الجزائر وابتدأ حركته الإصلاحية على ضوء تعاليم الإصلاح الدينية الإسلامية التي أضرم ناراها في الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب (١) .

وإننا نلاحظ أن هذه المبادئ الدينية الإسلامية التي عرفت بالمذهب الوهابي لا تحل بمكان وتنتشر فيه إلا ويكون من آثارها أن تقوم ثورة إصلاحية إذا واثت الظروف وساعدت الأحوال . وهدف هذه الثورة يكون في جوهره دائما واحدا ؛ وهو - كما سبق أن ذكرنا - العمل لسيادة مبادئ الإسلام الصحيحة والقضاء على البدع وأوضاع الحياة الفاسدة ، ثم محاولة تأسيس دولة إسلامية وتكوين حكومة صالحة تحكم بمبادئ الإسلام ، تنفذ الأحكام وتقيم الحدود .

هذا ما ترتب على ظهور الدعوة في جزيرة العرب ، ثم على انتشارها في السودان ، والهند ، وسو مطرة كما رأينا . ولقد كانت الأحوال في كل هذه البلاد وقت ظهور الدعوة الوهابية فيها متشابهة إلى حد بعيد ، من حيث

اعتناق أهلها للخرافة والبدعة واختلاط ذلك بعقائدهم الدينية ، ومن حيث تأخرهم جميعا في أحوالهم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وإن كان ذلك طبعا بنسب متفاوتة

ففي كل هذه الأماكن وجدت الدعوة الوهابية ميدانا للعمل وأرضا صالحة لبذر بذور الإصلاح بعد تنقيتها من آثار الفساد وأسبابه ، كما استطاع الدعاة المصلحون في كل هذه البلاد أن يشعروا سكانها بحاجتهم إلى الإصلاح وبضرورة اعتناقهم للعبادة الوهابية الإسلامية سبيلا للنجاة وطريقا للنهوض .

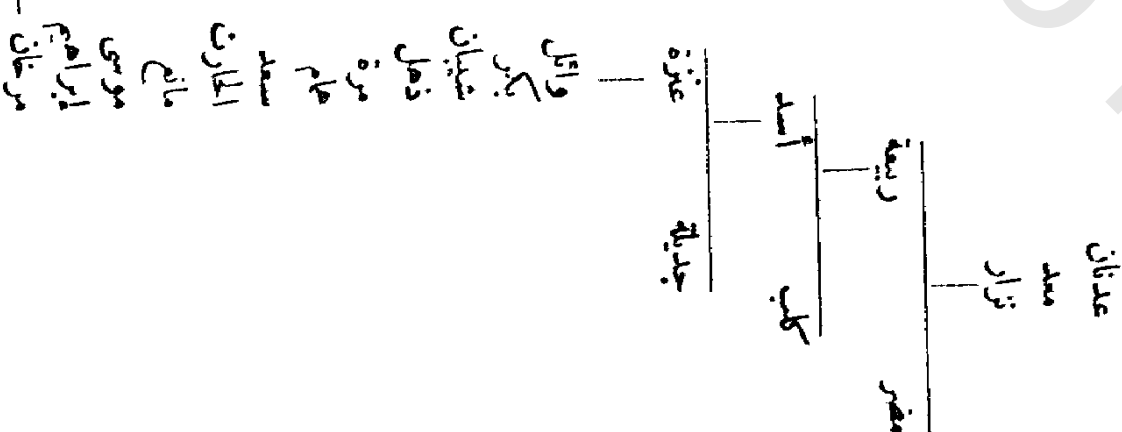
obeykandi.com

مقرن

سعود بن محمد بن مقرن بن سرخان

مشارى	محمد	ثنيان	فرحان
حسن	محمد	سعود	أبراهيم
عبد الرحمن	مقرن	سعود الكبير	ثنيان
مشارى		عبد الله	عبد الله
		ناصر	عبد الله فيصل خالد مشارى تركى
		فيصل	
		جوى	
		عبد الرحمن	عبد الله سعود محمد عبد الرحمن
		عبد الحسن	عبد الله
		مساعدة	
		محمد	الملك عبد العزيز
		سعود	محمد (٢)
		فيصل	

نسب ال سمود^(١)



(١) عن أمين الريحاني في كتابه « تاريخ نجد الحديث والمعاصرة » ص ٩٤ من الطبعة الأولى ، مع بعض التغييرات .

آل سُعود

ينتسب آل سعود إلى قبيلة عَنزَة ، إحدى قبائل ربيعة . وعَنزَة تعد من أكثر القبائل العربية عدداً ، فهي كثيرة الأفخاذ والبطون ، وأفرادها منتشرون في نجد والعراق وسوريا .

ولقد كان السعوديون قبل أن يتصل بهم محمد بن عبد الوهاب كغيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية محدودى النفوذ والسلطان ، لا عتد سلطانهم إلى أكثر من مقاطعتهم التى يسكنونها (١) ؛ وكانت المنطقة التى تخضع لهم فى نجد تشمل بلدة الدرعية (٢) وما يحيط بها من واحات .

ويعد سعود الأول ابن محمد بن مقرن مؤسس الأسرة السعودية وزعيمها الأول ؛ فهو أول من تمكن من السيطرة على مقاطعة الدرعية بما كان عليه من الدهاء وبعد النظر .

(١) كان الأمراء السعوديون يعرفون أن نصرتهم لابن عبد الوهاب فى نشر دعوته الدينية هى السبب فى قيام دولتهم واتساع ملكهم ، وكانوا كثيراً ما يتحدثون بنعمة الله وفضله عليهم فى هذا ؛ فلقد خطب سعود الكبير عند دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ وقال فى خطبته : إنا كنا أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه وكل يهزأ بنا ويقاثلنا ! . راجع « جزيرة العرب » ص ٣٤٧ .

(٢) تقع الدرعية شمال الرياض عاصمة نجد الحالية ، بالقرب من العينة ، القرية التى ولد فيها محمد بن عبد الوهاب .

وبعد وفاة سعود عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ - ١٧٢٥ م تعاون أبناءه الأربعة محمد وثنيان وفرحان ومشاري فيما بينهم ، وما زالوا يتمتعون بمالهم من نفوذ موروث في منطقتهم الضيقة ، حتى اتصل بهم محمد بن عبد الوهاب - كما قدمنا - وتعاهد مع محمد بن سعود على أن يحميه ، ويساعده على نشر مبادئه الدينية الإصلاحية .

كانت هذه الصلة المباركة سبباً في اتساع ملك آل سعود وتمكين نفوذهم إلى يومنا هذا ، وقامت من ذلك الحين الدولة الوهابية السعودية ، وأخذت أدوارها المختلفة في التاريخ .

ونحن نستطيع أن نقسم تاريخ هذه الدولة من وقت قيامها إلى الآن إلى ثلاثة عصور ، يهمنها العصر الأخير ، وهو العصر الذي يمثل النهضة العربية السعودية الحديثة ، ولكن لا بد لنا أولاً من أن نذكر كلمة موجزة عن العصرين الأول والثاني .